لله في خلقه شؤون

يوم الأحد الماضي وجَّه اسامة بن لادن زعيم تنظيم ((القاعدة))خطاباً صوتياً عبر قناة ((الجزيرة)) هاجم فيه موقف المملكة العربية السعودية الرافض لفكرة ((صِدام الحضارات)) التي روّج لها مشاهير مفكري جماعة الإخوان المسلمين في الخمسينيَات والستينيات امثال: ابو الحسن الندوي وسيد قطب وسعيد حوى، ثم جاء المفكر الاميركي «صموئيل هنتجتون» ليبلورها ويؤكد عليها في مطلع تسعينيات القرن العشرين المنصرم غداة انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومته الاشتراكية الدولية، وسط رفض واسع لهذه الفكرة التي عارضتها تيارات سياسية وفكرية عربية وعالمية عديدة بعد أن رأت فيها خطراً ينذر بإشعال حروب داخلية وعالمية مفتوحة بين الأديان والثقافات ، وتدمير القيم الإنسانية المشتركة التّي تتعايش وتتفاعل وتتلاقح في أطار الحضارة البشرية المعاصرة.

أحمد الحبيشي

وكانت هذه الفكرة قد لقيت تأييداً من الشيخ عبدالله صعتر عضو مجلس شورى حزب التجمع اليمني للاصلاح بقوله في شريط صوتي صدر في اكتوبر عام ٢٠٠٢ م، و نشرته صحيفة «العاصمة» التي يصدرها حزب «الاصلاح» في نفس التاريخ : ((انه لايجوز ان يبقى شبر فوق الارض لايحكمه الاسلام، ولا يجوز في الوقت نفسه ان يبقى انسان في البشرية لا يؤمن بالإسلام، والله سبحانه وتعالى لم يرسل النبي عليه الصلاة والسلام ليدعو ويبقى في مكانه ، بل قال له ولأتباعه من بعده «وقاتلوهم حتى يكون الدين كله لله»، اي حتى يكون الاسلام هو الحاكم في كل انحاء الأرض)) . بحسب قول القيادي «الاصلاحي» الشيخ عبدالله صعتر!!!

لم يكتف اسامة بن لادن بهجومه على موقف السعودية الرافض لفكرة صدام الحضارات، بل هاجم ايضا من اسماهم «الليبراليين الملاعين» في العالم العربي وخص بالتحديد الليبراليين العرب في السعودية و الخليج الذين يرفضون تقسيم العالم الى فسطاطين

> بموجب فكرة «صدام الحضارات» التي يؤمن بها بن لادن تقوم العلاقة بين المسلمَين وأتباع الأديان السماوية الأخرى على القتال والصدام طبقاً للبيان التأسيسي الصادر عن الجبهة العالمية لقتال اليهود والنصارى التي أسسها أسامة بن لادن في فبراير عام ١٩٩٨م، ثم جاء جهازها السري المعروف بتنظيم «القاعدة» ليخوض على هدى ذلك البيان حرباً ضروساً ضد الدول والمجتمعات الكافرة ومن والاها من المسلمين.

متعادين ومتحاربين اولهما فسطاط الاسلام والآخر فسطاط الكفر. بموجب فكرة «صدام الحضارات» التي يؤمن بها بن لادن تقوم العلاقة بين المسلمين واتباع الاديان السماوية الأخرى على القتال والصدام طبقاً للبيان التأسيسي الصادر عن الجبهة العالمية لقتال اليهود والنصارى التي أسسها اسامة بن لادن في فبراير عام ١٩٩٨م، ثم جاء جهازها السري المعروف بتنظيم «القاعدة» ليخوض على هدى ذلك البيان حرباً ضروساً ضد الدول والمجتمعات الكافرة ومن والاها من المسلمين !!.

مما له دلالة ان يتزامن خطاب بن لادن الذي انتقد فيه رفض المملكة العربية السعودية والليبراليين العرب لفكرة «صدام الحضارات» مع الاعتداءات التي تعرض لها عدد من كنائس الاسكندرية، واسفرت عن قتل وجرح عدد من المصلين المسيحيين على ايدي بعض المتطرفين الاسلامويين الذين تاثروا بهذه الأفكار الضالة، كما تزامنت ايضاً مع مواجهات دامية بين شباب من حركتي «فتح» و «حماس» في الأراضي الفلسطينية على خلفية تصريحات مثيرة للصدام والنزاع في الساحة الفلسطينية اطلقها خالد مشعل في دمشق، ووصف فيها حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» وتشكيلات السلطة الوطنية الفلسطينية بانها عميلة و مأجورة !!

في سياق ادانته للحصار الذي تتعرض له حكومة «حماس» حرص بن لادن على تأكيد ما قاله مساعده الدكتور أيمن الظواهري الذي سبق له ان انتقد انخراط «حماس» في العملية الديمقراطية ومشاركتها في انتخابات اسفرت عن تشكيل مجلس تشريعي «شركي وكفري» تقوده حركة «حماس» الاسلامية، وتشارك في عضويته كتل برلمانية من «فتح» والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من التنظيمات التي وصفها الظواهري في آخر خطاب بثه عبر قناة «الجزيرة» ايضاً بانهاحركات علمانية ليبرالية كافرة تسعى الى زرع قيم الحضارة الغربية في ارض الاسلام بفلسطين، كما انتقد ايضا مشاركة جماعة الإخوان المسلمين في الانتخابات البرلمانية المصرية التي اسفرت عن مشاركتهم في عضوية مجلس الشعب الذي وصفه الظواهري بأنه «كفري وشركي» ايضاً !!

اللافت للنظر ان انتقادات بن لادن لم تلق رداً من حركة «حماس» وجماعة الإخوان المسلمين اللتين التزمتا الصمت إزاء ما ورد في خطابه وخطاب مساعده ايمن الظواهري من تكفير للديمقراطية التي اوصلت «حماس» الى قيادة الحكومة الفلسطينية والمجلس التشريعي الفلسطيني، ومكّنت جماعة الاخوان المسلمين في مصر من الفوز بنسبة ٢٠٪ من مقاعد مجلس الشعب المصري، الأمر الذي يعزز موقف الذين يشككون بجدية التزام قوى الاسلام السياسي بالديمقراطية، ويعتقدون بأن الاخوان المسلمين على وجه التحديد يخفون في عمق مشروعهم السياسي الكهنوتي ما لايعلنونه في خطابهم الاعلامي المدني الذي يتظاهر بالدعوة الى الديمقراطية وحماية حرية التعبير والدفاع عن حقوق الانسان وضمان نزاهة الانتخابات التي يتهمها بن لادن بالكفر والشرك بينما يلتزمون الصمت ازاء هذه الاتهامات !!

ثمة من يرى ان جماعات الاسلام السياسي اضطرت الى تعاطي الديمقراطية بهدف استخدامها كجسر للوصول الى الحكم سلماً، بيد انها ستطبق حال وصولها الى الحكم ذات المشروع الذي تتبناه الجماعات الجهادية المقاتلة، تجسيداً للاصول الواحدة التي تجمع مختلف الجماعات الاسلامية المعتدلة و المتطرفة بصرف النظر عن اختلافها في الفروع والوسائل، لأن الاختلاف بين جماعات الاسلام السياسي السلمية والمقاتلة يدور حول الفروع وليس الأصول !!!!!

والحال أن بلادنا لم تكن خارج سياق هذه الاشكالية لجهة تأثر بعض جماعات الاسلام السياسي المتشددة بافكار تنظيم «القاعدة» المعادية للديمقراطية والتعددية التي يراها بن لادن كفراً وشركاً بالله، وقيامها باستخدام العنف سواء ضد بعض المصالح والمنشآت الغربية أوالبواخر الاجنبية في الأراضي والموانئ اليمنية، الأمر الذي من شأنه الإضرار باقتصادنا الوطني، واضعاف نظام الحكم، فيما تشارك جماعات اسلامية اخرى في العملية الديمقراطية من خلال حزب التجمع اليمني للاصلاح الذي يتوزعه جناحان يطير بهما في فضاء العملية السياسية، احدهما سلفي متشدد لم يسبق له ان أبدى موقفا انتقادياً صريحاً للمنظومة الفكرية المتطرفة التي يسترشد بها تنظيم «القاعدة» والجماعات الجهادية المقاتلة، وخاصة تلك التي ترفض الديمقراطية بما هي خضوع الأقلية للأكثرية، وتنكر مبدأ مساواة المواطنين امام الدستور والقانون في الحقوق والواجبات، وتتمسك بموقفها الرافض لحقوق المرأة في العمل والمشاركة السياسية وشغل الوظائف القيادية في الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، فيما يتبنى الجناح الآخر خطاباً سياسياً داعياً للديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الانسان !!

من نافل القول ان بلادنا اكتوت بنار الارهاب على ايدي جماعات متطرفة تتبنى المنظومة الفكرية لتنظيم «القاعدة» الذي يعد بمثابة الجهاز الخاص المقاتل لقوى الاسلام السياسي، بقدر ما اكتوت ايضاً بسعير الجناح الاخواني المدني في التجمع اليمني للاصلاح باعتباره واحدا من رموز الاسلام السياسي في اليمن والعالم العربي، حيث خاض الجناح المدني في حزب «الاصلاح» معركة الدفاع عن مرتكبي الجرائم الارهابية خلال السنوات الماضية بعد ضبطهم واحالتهم الى السلطة القضائية، تحت يافطة الدفاع عن الحقوق المدنية والقانونية تارة، أو تحت يافطة الدفاع عن السيادة الوطنية والتصدي للهيمنة الأميركية تارة أخرى .

وعندما خسر الجناح الإخواني في حزب «الإصلاح» معركة الدفاع عن الحقوق القانونية و المدنية لمرتكبي جرائم الارهاب وحملة الأفكار المتطرفة، واصل معاركه «الجهادية» من اجل الوصول الى السلطة بوسائل ملتبسة من خلال التهافت على سفارات الدول الأجنبية بهدف الانخراط في برامج نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط التي تتبناها الولايات المتحدة الاميركية ودول الاتحاد الاوروبي، لكن موقف الجناح المدني في حزب «الاصلاح» من المنظومة الفكرية المتخلفة لجناحه السلفي الذي يتحكم بالقرار السياسي والتمويل المالي لا يزال غامضاً وملتبساً .

بوسعنا القول ان الجناح السلفي الذي يقود مجلس شورى حزب «الإصلاح» ترك هامش حرية ومناورة لجناحه الإخواني في الأمانة العامة ليتعاطى فيه خطاباً سياسياً «ديمقراطيا» بهدف استعداء القوى الخارجية ضد النظام السياسي والحزب الحاكم تحت يافطة الدفاع عن الديمقراطية وضمان نزاهة الانتخابات، واتهام سلطة الدولة بانتهاك حقوق الانسان ومصادرة حرية التعبير وقمع الصحافة «حرة»!

في الاتجاه المعاكس يتفرغ الجناح السلفي لحزب «الاصلاح» لتجويف انخراط الجناح الاخواني المدني في العملية الديمقراطية من خلال الممارسات التي تنتج ثقافة سياسة معادية للقيم الديمقراطية على النقيض من الخطاب السياسي الذي يتبناه الجناح المدني!

لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر جانبين من هذا المشهد الملتبس الذي يثير الكثير من التساؤلات حول مدى ديمقراطية التنظيم السري للإخوان المسلمين في اليمن بما هو القوة المحركة لحزب التجمع اليمني للإصلاح، وهو ما يمكن تعميمه على فروع الاخوان المسلمين في العالم العربي، حيث يناور «إخوان الإصلاح» في اليمن هذه الأيام من اجل انتزاع مكاسب انتخابية «توافقية» خارج الدستور والقانون، في الوقت الذي يتظاهرون بالتباكي على الديمقراطية وحرية الصحافة ونزاهة الانتخابات .!!

في جانب آخر من المشهد يبدو القيادي البرلماني «الإصلاحي» الشيخ عارف الصبري وهو يهاجم الآراء التي تدافع عن حقوق المرأة، واصفاً «الإسلاميين المعتدلين» بالمتمردين على الاسلام بحسب مقال كتبه في صحيفة «الإيمان» التي يملكها الشيخ عبدالمجيد الزنداني رئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للاصلاح. ولم يتردد الشيخ عارف الصبري وهو عضو الكتلة البرلمانية لحزب «الاصلاح» في مجلس النواب عن اتهام «المعتدلين الإسلاميين» بموالاة امريكا والغرب الكافر!!.

في الاتجاه نفسه رفض شيخ «إصلاحي» في محافظة صعدة تسليم المواطن اليهودي يوسف سلمان حبيب المتهم بقتل الطفل اليهودي «فنحاس» بعد هروبه من موقع الجريمة في محافظة عمران الى محافظة صعدة، بذريعة «ان القاتل اليهودي اشهر اسلامه، وان الاسلام يجبّ ما قبله» !!، فيما نقلت احدى صحف حزب «الإصلاح» عن لسان

> عندما خسر الجناح الإخواني في حزب «الإصلاح» معركة الدفاع عن الحقوق القانونية و المدنية لمرتكبي جرائم الإرهاب وحملة الأفكار المتطرفة، واصل معاركه «الجهادية» من أجل الوصول إلى السلطة بوسائل ملتبسة من خلال التهافت على سفارات الدول الأجنبية بهدف الانخراط في برامج نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط التي تتبناها الولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي، لكن موقف الجناح الإخواني في حزب «الإصلاح» من المنظومة الفكرية المتخلفة لجناحه السلفي الذي يتحكم بالقرار السياسي والتمويل المالي لا يزال غامضاً وملتبساً!.

استاذ جامعي «اخواني» بجامعة صنعاء قوله ان القاتل غير المسلم يعفى من عقوبة القصاص اذا اعتنق الاسلام جرياً على ظاهر حديث نسبه الاستاذ الجامعي «الإصلاحي» للرسول- عليه الصلاة والسلام - : «لا يقتل مسلم بكافر»!!

في تقديري ـ والله أعلم ـ إنّ القول بذلك الحديث المنسوب الى النبي – عليه الصلاة والسلام- الذي نهى عن كتابة وتدوين احاديثه خشية تلفيق مثل هذه الأحاديث، يشكل اساءة بالغة للرسول الأعظم، لا تقل عن الرسوم الدنماركية المسيئة اليه، ناهيك عن انها تسيئ ايضاً الى الاسلام حيث تقدمه في صورة دين عنصري وملاذ آمن للقتلة .

ولئن كان فخامة رئيس الجمهورية قد حسم هذا الجدل لدى استقباله وفداً من اليهود اليمنيين في محافظة عمران، بتأكيده على ان اليهود اليمنيين يتمتعون بكامل حقوق المواطنة التي ينص عليها الدستور وتكفلها القوانين النافذة، موجها اجهزة الأمن في محافظتي عمران وصعدة بضرورة ملاحقة وضبط قاتل الطفل اليهودي وتقديمه للعدالة، لكن صمت قيادة الجناح السلفي في حزب «الاصلاح» عن ابداء رأيها في هذا الجدل الذي تورط فيه بعض اعضائه يثير تساؤلات مشروعة حول مدى مصداقية الخطاب السياسي والاعلامي الذي يسمعه سفراء الدول الأجنبية اثناء لقاءاتهم بممثلي الجناح الإخواني المدني في حزب «الاصلاح » وحلفائهم في «القاء المشترك» !!

على صعيد متصل شن خطيب سلفي قريب من حزب «الاصلاح» في مسجد «النور» بمديرية معبر في محافظة ذمار هجوما شديداً على الأحزاب والحزبيين، مدعياً ان الحزبية هي ملة اليهود والنصارى جاءوا بها الى بلادنا بهدف افسادها تحت شعارات الديمقراطية وحقوق المرأة، فيما يلتزم الجناح السلفي في حزب «الاصلاح» الصمت ازاء مواقف سلفية مناهضة للديمقراطية من بعض رجال الدين، وعلى وجه الخصوص كتاب الشيخ محمد الامام بعنوان «تنوير الظلمات في كشف مفاسد وشبهات الانتخابات» حيث لم نسمع اي نقد لهذا الكتاب من شيوخ مجلس شورى حزب «الاصلاح» الذي يطالب بانتخابات حرة ونزيهة، ويتهم السلطة بالفساد وقيادة البلاد الى نفق مظلم .. ولله في خلقه شؤون .

نقلاً عن / صحيفة «٢٦سبتمبر»

قالوا إنّالسرورية هي جوهر حركة ((الصحوة)) الإسلامية السياسية ونتاج اندماج الرؤية السلفية بالفكر الإخواني

مفكرون سعوديون : الإخوان والسروريون أنتجوا فكراً تكفيرياً في العالم العربي

الرياض ـ دبي / متابعات

تناول فيلم وثائقي من جزئين بثته قناة (العربية) يوم امس الجمعة عن التيارات في السعودية، تأثير جماعة الاخوان المسلمين في نشأة فكر العنف والسلفية الجهادية، والعلاقة بين التيار السروري وتيار ((الصحوة)) وفكر التكفير.

وقال الكاتب السعودي تركي الحمد من خلال الفيلم إن السعودية لم تتبن الفكر الاخواني سواء اخوان مصر أو سوريا أو غيرهم، ولكنها فتحت لهم الأبواب عندما جاءوا إليها كلاجئين سياسيين بعد صراعهم مع الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر والحكومات السورية المتتالية.

وأوضح أن توظيفهم في المؤسسات التعليمية جعلهم يبثون فكرهم الاخواني في عقول الطلبة من خلال المؤلفات التي يكتبونها، مشيرا إلى أن الفكر الاخواني الوافد وهو مسيس اختلط بالسلفية المحلية غير المسيسة، وحدث نوع من الامتزاج الكيماوي انتج السلفية الجهادية، فتحولت السلفية المعتادة في السعودية إلى سلفية متفجرة نتجة الاحتكاك بالاخوان المسلمين الذين قدموا من مصر وسوريا في المقام الأول.

تحدث في الفيلم د. محمد آل زلفة عضو مجلس الشورى السعودي، والكاتبة سهيلة زين العابدين، وحسن المالكي، وحسن الصفار وسفر الحوالي وكامل الخطي وتركي الحمد وعادل الكلباني وسلمان العودة وعبدالعزيز الخضر.

وفي اطار الحديث عن الوجود الاخواني أكدت سهيلة زين العابدين تأثيرهم على الفكر الديني والحركة الاسلامية في السعودية. وقالت إن البعض من الاخوان تأثر بفكر سيد قطب خاصة تكفيره للمسلمين جميعا، وهو تأثر بفكر ابي الأعلى المودودي والشيخ ابي الحسن الندوي، مشيرة إلى صورة مشرقة لفكر الاخوان المسلمين متمثلة في فكر الشيخ يوسف القرضاوي الذي يعتبر من العلماء والفقهاء المسلمين القلائل الذين يتمتعون بالجرأة وقول الحق والوسطية والاعتدال.

حسن البنا معجب بنموذج ستالين

عاد تركي الحمد إلى الحديث فقال إن حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان من أشد المعجبين بستالين بشأن تنظيمه في روسيا، واستشهد بمراجع أوردت كلاما للبنا يؤكد فيه ان ما يريده الاخوان هو شبه ما يجري في روسيا التي طورت وبنت نفسها من خلال التنظيم والعقيدة الواضحة.

وحسب الفيلم الوثائقي فان الاخوان وصلوا للسعودية بتصور ديني مخالف للتصور السائد في البلاد، فالأولوية عندهم لائتلاف المسلمين بغض النظر عن عقائدهم ومذاهبهم وهو ما كان صادما للخطاب الديني المحلي الذي يملك شعبية كبيرة، إلا انه عاجز عن الاستجابة لمتطلبات الدولة الحديثة المتزايدة وشروط التحديث والتنمية التي فرضت نفسها بقوة على المشهد المحلي.

لم تكن الدولة – بحسب ما ورد في الفيلم- مستعدة للتخلي عن الخطاب الديني وتسعى في الوقت نفسه بقوة نحو التحديث والتنمية، فجاء الاخوان المسلمون وساهموا في صياغة مناهج التعليم والعمل الخيري الدعوي، واستقطبوا بعض الرموز الدينية المحلية، وبذلك أصبح في البلاد خطابان دينيان، أحدهما يملك نقاء عقديا يكسبه شعبية اجتماعية لكنه عاجز عن التعامل مع تحديات العصر وضرورات الدولة، والآخر على النقيض.

فهد الشافي قال ان الاخوان عندما جاءوا الى السعودية كانت لهم سمات معينة، فهم يمتازون عن المؤسسة الدينية الرسمية التقليدية بمساحات من الفسح، يتساهلون في قضايا مثل الغناء والاختلاط ويتعاملون ببرجماتية وبنوع أكثر حداقة من المؤسسة التقليدية، في المقابل كانت السعودية تمتاز بفكر ديني معين راسخ وله تجربة تاريخية ولا شك انه أثر فيهم، وكان ابرز تأثير خروج اطروحات تنسب الى الاخوان تنتقد اطرهم متكأة على الفكر السلفي.

السرورية نتاج اندماج الرؤية السلفية بالاخوانية

وأوضح الشافي انه حدثت اعادة صياغة للفكر الاخواني، وهذه طبيعة اي فكر عندما تلقيه في بيئة ستتأثر وتؤثر وهذا الذي حدث، وفيما بعد وكنتيجة لذلك جاءت الحركة السرورية التي تنسب الى الشيخ السوري الأخواني محمد بن سرور زين العابدين وهي نتاج دمج

الرؤية السلفية والرؤية الاخوانية

أما الشيخ سفر الحوالي فقال ان حركة الاخوان المسلمين أسسها حسن البنا متفاعلا مع أفكار سبقتها للشيخ رشيد رضا وغيره، مشيرا إلى أن حركة الاخوان التي قامت في السعودية بقيادة الشيخ عبدالكريم الدرويش وحولت منطقة نجد في قلب الجزيرة العربية من البادية والجفاء والغلظة الى التدين والاصلاح والجهاد فيما بعد، لها اثر في تكوين وانشاء حركة الاخوان عن طريق انتشارها في نجد الى بلاد الشام وسيناء ومنها الى مصر حيث تأثر حسن البنا.

وأضاف أنه اذا كان عبدالناصر حارب الاخوان حربا سياسية كما تدعي الاجهزة الناصرية، فهناك في المقابل من تعاطف معها سياسيا، لكنه يعتقد أن التعاطف معها في السعودية لم يكن مجرد تعاطف سياسي.

وتعتبر سهيلة زين العابدين ان الاخوان حزب سياسي يسعى الى السلطة السياسية ولذلك فقد كثيرا من شعبيته. وأكد الشيخ سليمان العودة ان الاخوان عندما جاءوا الى السعودية كانوا مؤثرين ومتأثرين فقد ساهموا من جهة في احياء نوع من الوعي الديني والسياسي والممارسة والاطلاع والقراءة وهناك مجلات كانت تتداول ذلك مثل مجلة المجتمع والشهاب والوعي الاسلامي الكويتية ومجلات اخرى من جميع انحاء العالم الاسلامي كان لها سوق رائجة في السعودية وتأثروا هم بالمناخ السلفي الموجود في السعودية.

ثم يتحدث الفيلم الوثائقي عن محمد بن سرور زين العابدين الذي كان يعمل في منطقة القصيم بالسعودية، وهو سوري التحق بجماعة الاخوان السورية لسنوات طويلة، ثم تخلى عنها وخط له منهجا جديدا، وقد استطاع هذه الرجل ان يقرأ بذكاء نقاط القوة والضعف في الخطابين السابقين في المجتمع السعودي، فحاول تقديم خطاب يجمع قوة الطرفين فيحرص على اولوية النقاء العقدي ويأخذ آليات الاخوان في الاستجابة لمتطلبات العصر، واستطاع بذلك ان ينشئ خطابا دينيا جديدا لم يلبث ان تمدد اجتماعيا، حتى شكل بعد سنوات تيارا دينيا واجتماعيا كان له الحضور الابرز في المشهد الديني المحلي.

وهنا يقول سلمان العودة ان محمد سرور كان مدرسا في مدينة حائل ثم انتقل الى منطقة القصيم وكان يدرس مادة الحساب، لكنه كان يحمل فكرا وهما، وانتقل الى منطقة الاحساء ثم ربما انتقل بعد ذلك الى الكويت لفترة معينة قبل ان يستقر به المقام في لندن.

ويعتبره العودة أحد المؤثرين في الساحة من حيث تأثيره التربوي وكتاباته، حيث كان يكتب في مجلة المجتمع، ويذكر انه كان واحد من تلاميذه الذين درسوا عليه يديه مادة الحساب، وكان يأتيهم بكتاب (زاد المعاد) لابن القيم.. كان ذلك بداية تعرفي على هذا الكتاب الجميل رأيته وذهبت واشتريته وهو لا زال من اهم الكتب الموجودة في مكتبتي وقرأته عدة مرات".

ويعلق الفيلم الوثائقي بأن السرورية أصبح لها فيما بعد مفهوما خاصا في المجتمع السعودي مع ان هناك تشكيكا في دقة هذه التسمية، فيقول حسن المالكي إنه لا يفضل هذه الأسماء، هي غير صحيحة وغير حقيقية. السرورية هي اتهام يراد منه التقليل أو التحذير او اسقاط بعض طلبة العلم.

أما عادل الكلباني فقد أشار إلى أن محمد سروريس له منهج وفكر، ربما ألف كتابا أو كتابين أو ثلاثة، لكنني لم أر أنه قاد فكرا متبعا أو حملة معينة للتجديد أو شيئا ما. كتبه لا تدرس واكثر طلبة العلم لا يعرفون كتبه، ومن نشر كتبه هم من عاداه ولو سكتوا عنه لم يعرف.

السرورية جوهر تيار الصحوة

يعود المعلق في الفيلم ليقول ان هناك باحثين يؤكدون ان ما سمي بالسرورية يشكل جوهر التيار الذي عرف فيما بعد بتيار الصحوة، يعلق عبدالعزيز الخضر بأنه يعتقد أن نشوء المصطلح كان في ذروة الصراع بين التيارين خلال احداث غزو العراق للكويت، ومن يتابع التفاصيل في تلك الفترة يشعر بأن كلا من المصطلحين "شتائمي" وليس تصنيفا علميا بالأصل، وبالتالي استمر يعطي معنى سلبيا في كلمة جامي أو سروري، جامي ملحقة باسم شخص وسروري كذلك، لكن في الواقع بغض النظر عن اسم الجامية، هناك تيار في السعودية يعبر عن الجامية فترة طويلة من دون أن يتشكل بهذا الاسم، وايضا التيار السروري هو في الحقيقة يمثل الهيكل الأكبر بالنسبة للصحوة الاسلامية في السعودية وأعطاها شكلا من الاشكال.

وقال إن الاسم ليس بذلك الحضور الشديد بالنسبة للصحويين كرمز معروف، ولكن بحكم ان الشخصية كان لها تأثير على اهم الرموز الصحوية في دمج الاسلام السني السلفي التقليدي بالاسلام الحركي بطريقة علمية من ناحية، وتوائم البيئة المحلية السعودية بحكم انها بلد يعلي الاسلام ابتداء.

سرور أول من طرح تكفير الأنظمة

ويشير تركي الحمد إلى أن محمد سرور هو أول من بدأ يطرح عملية تكفير الأنظمة السياسية، وأن الجهاد فريضة غائبة بشكل من الأشكال وذلك عندما كان يحاضر في الجامعات السعودية، وبعد ذلك بدأ التيار ينتشر من تلاميذه الذين تناقلوها، وبالتالي فان العمدة على التأسيس وليس على من يأتي لاحقا ويكون أكثر تأثيرا.

لكن كامل الخطي يقول إنه لا يتصور وقد يكون لا يعرف جيدا ان محمد سرور له تأثير مباشر بتنظيم الأعمال المسلحة والأعمال ذات الطبيعة العنيفة التي شهدناها، لكن حركة الصحوة ومعارضتها للنظام السياسي مهدت الطريق لظهور الحركة الجهادية.

أسامة الأفريقي

مشاري الذايدي *

هل يعتبر ما قاله أسامة بن لادن، في «كاسيته» البانورامي الأخير، «آخر كلام» حول الموقف من الأحزاب الاسلامية التي رضيت الانخراط في الحياة السياسية مثل حماس ؟!

نقول ذلك لأن بن لادن أشار إلى فوز حماس وأدان الضغط عليها، مع أن رفيق دربه أيمن الظواهري يعتقد أن الدخول في أي عملية انتخابية يعتبر شركاً وكفراً، كما في كتابه «الحصاد المر»، وبن لادن نفسه ذكّر بموقف صاحبه في خطاب الأمس! هي تحولات مثيرة فعلا، ولكنها لا تعكس تطورا جادا في داخل الخطاب، قدر ما تشي بمحاولة «التقاط» أي حجة من أجل تدعيم النظرة «الفسطاطية» البنلادنية.

غير أن هذا ليس مصب مياه كلامنا هنا.. مصبها النكهة الافريقية في شريط اسامة الاخير، او اسامة الافريقي، مستعيدين بطبيعة الحال نسبة افريقية اسامة الى «ليون الافريقي» الذي رسم ملامحه أمين معلوف في روايته الشهيرة، ولا جامع بين الافريقيين، الا شيء واحد، هو التطواف بالمدن، ونقل الهم الثقيل في هذه الرحلات..

فليون الافريقي، أو حسن الوزان، كما رسمه معلوف: «عرف الطهر والبراءة في غرناطة والغم في فاس، والصبابة في القاهرة، والحكمة في روما، وهي مجموع الاماكن التي عاش فيها».

وأسامة الافريقي، او اسامة بن لادن، حمل همومه متنقلا ما بين جدة والرياض وخوست وكابول والخرطوم.. يحمل على كاهله همومه المدمرة، ولكنه ليس هم الحب ولا البحث عن الحقيقة، بل هو هم بسيط، وخطير في بساطته، هم تغيير العالم، وشق اخدود كبير يفصل بين الفسطاطين، هم قطع لا وصل.. هذا شيء من الفرق بين الافريقيين.

حسنا .. ما هو جديد أسامة ؟

زعيم تنظيم القاعدة شرّق وغرّب في تسجيله الذي بثته فضائية «الجزيرة»، تحدث عن أزمة دارفور ودعا المعجبين به الى القتال في دارفور ضد الصليبيين، وقال للدولة السودانية: اتفاقيتكم مع الحركة الشعبية الجنوبية لاغية.. (هنا تذكروا أن بن لادن ليس سودانيا!) لكنه لا يلقي بالا لذلك، فيما يبدو، وربما يرى أنه «طز» في السودان، كما سبقه مرشد الاخوان المصري، لذلك فليس غريبا ان نسمع بن لادن يقول في شريطه الأخير «ليعلم البشير وبوش، أن هذا الاتفاق لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به، ولا يلزمنا بمثقال ذرة». لاحظوا انه يتحدث بضمير الجماعة المتكلمة «يلزمنا» وكأنه ولد في أم درمان!

زعيم القاعدة تحدث عن اشياء أخرى، تحسّر على حصار الغرب «الصليبي» لحركة حماس، رغم انها وصلت بطريقة ديموقراطية وهي خيار الشعب.. نعم هكذا تحدث، ولم ينس راعي تفجيرات القاعدة الاشارة الى بعض قضايا الساعة الساخنة مثل: رسوم الدنمارك، وتطوير مناهج التعليم الدينية.. واخيرا صرخ في آذان الأمة ان لا تصغي الى «المستهزئين بالدين» ويعني الكتاب والمفكرين.

طبعا هناك لمسات جديدة تنسجم مع أحداث المرحلة، فلا تخطئ العين نزعة استغلال لزخم الاحداث، وتجميل لأجندة القاعدة الفكرية الجوهرية، فهو يركز على حماس، وضمنيا هو فرح بوصولها الى السلطة، مع انها سلطة منبثقة من اتفاقيات مع «اسرائيل» لكن كل ذلك تبعد عنه لاقطات القاعدة الصوتية، لأنها لا تخدم الغرض المرجو، وهو تثبيت الرؤية الرهيبة في «تديين» الصراع.

مع هكذا نية مبيتة لتصوير الجاري من الاحداث، ومع مثل هذه المقاربات المتفرعة من شجرة «الفسطاط» البنلادني الشهير، يصبح من الضار، بالنسبة للخطاب الجهادي الحالي، الاشارة الى أن الخلافات مع الاحزاب الاصولية السياسية، الناعمة منها والنصف ناعمة، والخشنة تماما مثل القاعدة، هي خلافات «داخلية» بين ابناء الامة نفسها، حتى ولو لم يتدخل الطرف الخارجي، صليبيا كان أم يوذيا.. فمن يصارع الاخوان في مصر، هم مصريون، دعنا من الحكومة، اعني مصريين في المعارضة، وكذلك الشأن في فلسطين، وغيرها.

بن لادن في خطابه هذا يؤكد ما قاله كثيرون، وسبق أن اشرت اليه في بعض المناسبات، من ان القاعدة تركب أي موجة، وتأخذ أي شيء تجده في طريقها، وتلقيه في فرنها من اجل المزيد من الحرارة واللهب وخلود النار!

واذا ما أردنا ان نظل في المفردات الافريقية في حديث أسامة الاخير، فإن كلام بن لادن عن وجوب «النفير» الى دارفور للجهاد، وحثه الشباب على التعرف على وضع قبائل دارفور، وجغرافيتها... الخ، وهو أمر، كما أظن ، يجيء من أجل فتح جبهة «تهوية» جديدة للقاعدة.. هذا الحديث فيه مفارقة هي أنه أتى في نفس الاسبوع الذي تحدث فيه عراب الاسلام السياسي في السودان حسن الترابي عن أزمة دارفور. الترابي وفي حديث مع «الشرق الاوسط» قال انه يستطيع حل مشكلة دارفور في «جلسة واحدة» من خلال اعطاء قبائل الاقليم المسلمة بعض الترضيات في المناصب والاعتمادات في الميزانية العامة، وكفى الله المؤمنين القتال، خصوصا، كما يقول الترابي، أن أهل دارفور ظلموا من قبل الاستعمار الانجليزي ومن الحركة الوطنية التي تلت الرحيل الانجليزي، لأنهم وقفوا الى جانب العثمانيين في الحرب العالمية. وعليه فالترابي يرى أن المشكلة داخلية بحتة، لا قصة حرب صليبية مفتعلة.

لكن بن لادن يرى أن ما يجري هو مؤامرة صليبية لضرب الاسلام والمسلمين، والرجلان كانا قبل سنوات قريبة في خندق واحد، لبعض اللحظات، وكان بن لادن ضيفا على الخرطوم، في ذروة قوة الترابي، وتدبيره لشؤون البلد، وعن ذلك يقول حارس بن لادن ومرافقه الشخصي، اليمني ناصر البحري (ابو جندل) في حلقات مثيرة نشرتها «القدس العربي» قبل اشهر، إن الترابي زار بن لادن ثلاثة أيام متواصلة «.. وكان يعقد خلالها معه جلسات مطولة ونقاشات ساخنة تستمر ساعات طويلة، حتى وقت متأخر من الليل لإقناعه بالخروج من السودان».

كان هذا بعد انقضاء شهر العسل بين الطرفين، بين حكومة الإنقاذ وعرابها حسن الترابي، وبين اسامة بن لادن الذي جاء اليها ١٩٩١ تاركا السعودية، بعد محطة قصيرة في افغانستان.

بن لادن وحسب شهادة مرافقه البحري، كان في حالة «بيات» في السودان، ولم يشأ إفساد هذه الارض عليه او تحريكها، وكان يخطط «بعمق» للمرحلة المقبلة، كما يذكر «ابو جندل»، لكن هذه المراقبة لم تجعله يكف عن التطلع لجبهات اخرى، يستوعب فيها اتباعه الذين رهنوا حياتهم بوجود جبهات جهادية مشتعلة باستمرار.

كان اسامة في تلك اللحظة يراقب حرب اليمن، يقول البحري: «عرفت أنه كان يتابع الحرب اليمنية في صيف ١٩٩٤عن كثب، وكان على إطلاع دائم بها، وأنه حاول إرسال عناصر من القاعدة للمشاركة في تلك الحرب إلى جانب القوات الحكومية».

كما كان يراقب الصومال ويراهن عليها، ويستغل تفسخ الدولة المركزية، فينشئ المعسكرات ويبعث المقاتلين، لاحقا كان بن لادن ينتشي كثيرا بحجر الجنود الأمريكان الذين هزموا في حملة «اعادة الامل» في الصومال على يديه، حسبما يرى. بل ان هموم بن لادن في القارة السمراء لم تقف عند هذا الحد، فالبحري يذكر ان جنود بن لادن كانوا يتحرقون شوقا للمشاركة «على طريقة الافغان العرب» في أحداث ليبريا، والحجة كالمعتاد: دينية الصراع، ناهيك عن أرتيريا والشمال الافريقي.. الخ.

وفي لحظة تجل يقول مرافق بن لادن عن أحد قيادات القاعدة الشهيرين، وهو المصري «ابو عبيدة البنشيري»، الذي غرق في بحيرة فيكتوريا في صيف ١٩٩٦: «حسب ما عرفته من الشيخ أسامة وبعض الأخوة الآخرين، كان الأخ أبو عبيدة البنشيري يحاول الاستفادة من الصراعات المسلحة التي كانت تدور في إفريقيا، كقضية وسط إفريقيا، بروندي ورواندا، وغيرها، لتسهيل عملية تغلغل عناصر (القاعدة) في إفريقيا».

وهكذا، نرى أن الفكرة الرئيسية في كل هذه المحطات هي «حلب» كل ساحة، وهنا ساحات افريقيا، بما يضمن امتلاء إناء القاعدة بالأنصار، وديمومة بقاء الصراع في شكل ديني.

إن ركوب الخطاب القاعدي والجهادي على كل هذه المراكب، بدا انه من ق